الأهمية التربوية للشعر الموجه للأطفال

أ. د. أمير إبراهيم القرشي *

يكتسب الشعر المُوجَّه إلى الأطفال أهمية خاصة في مجال أدب الطفل، فهو من أسبق ألوان الأدب إلى آذان ووجدان الطفل، حيث تعودت أُذُن الطفل منذ نعومة أظفاره على صوت الأُمِّ وهي تغني له بعض الأغاني أثناء هدهدته؛ حتى يهدأ ويكفَّ عن البكاء ويغطَّ في النوم، وبعدها يبدأ الطفل في التعود على سماع حكايات ما قبل النوم التي تثير تفكيره، وتجعله يُحلق بخياله مع شخصيات الحكاية وأحداثها؛ خاصةً إذا سمع الحكاية عبر صوتٍ مُعبِّرٍ ومُنغَّمٍ صعودًا وهبوطًا ونعومةً وغِلظة، وفقًا لمقتضيات أحداث الحكاية.

ومع نمو الطفل يستمر تعلُّقه بسماع الأغاني والأناشيد والأشعار، التي تجمع بين التصوير الحركي والموسيقا، والدلالة اللفظية المُشوِّقة، والأوزان والقوافي المناسبة؛ بهدف مخاطبة عقل الطفل ووجدانه، مما يسهل على الأطفال ترديد كلمات النشيد، أو القصيدة وتكرارها؛ حيث يميل الأطفال إلى التنغيم والكلام الموسيقي الموزون؛ مما يساعد على تنمية التذوق الفني، والقدرة على التخيُّل، وتنمية القيَم والاتجاهات والسلوكيات المرغوب فيها بصورة محببة بعيدًا عن الإجبار.

وهو الأمر الذي يتطلب توافر أديب وشاعر مبدع يمتلك الأدوات والحاسَّة الفنية التي تُمكِّنه من الولوج إلى وجدان الطفل وعقله بسهولة ويُسر، ودون تكلُّف أو افتعال، أو وعظ مباشر ينفِّر الطفل من متابعة ما يُلقى على مسامعه.

وقد ارتبط الشعر المُوجَّه للأطفال في عالمنا العربي بعدة أسماء كان لها السبق والريادة في هذا المجال، ويأتي على رأسهم أمير الشعراء (أحمد شوقي) الذي ترك لنا عددًا كبيرًا من المقطوعات ما بين أنشودة وأغنية، بالإضافة إلى القصص الشعرية الموجهة إلى الأطفال، وقد تأثر (أحمد شوقي) في تجربته الشعرية للأطفال بمَنْ سبقوه؛ خاصة كتاب (كليلة ودِمْنَة) الذي

* أستاذ المناهج وطرق التدريس – كلية التربية – جامعة حلوان – مصر.

نقله إلى العربية (عبد الله بن المُقفَّع) كما تأثر أثناء وجوده بفرنسا، بتجربة الشاعر الفرنسي (لافونتين) الذي سبقه في تأليف شعر الأطفال. وقد تأثر كُلٌّ من (شوقي) و(لافونتين) بقصص (كليلة ودمنة) وقصص (أيسوب اليوناني) التي اعتمدت كُلٌّ منها على الشكل الرمزي المُقدَّم على ألسنة الحيوانات والطيور.

كما تأثر (أحمد شوقي) بالتراث القَصَصيّ الذي ورد في القرآن الكريم؛ حيث عبَّر في أكثر من قصيدة عن الحيوانات التي ركبت سفينة (نوح عليه السلام) أثناء الطوفان العظيم، وحكايات (سليمان عليه السلام) مع الهدهد، والطاووس والحمامة، وهناك بعض الأشعار التي اعتمدت فكرتها على بعض الأمثال العربية المرتبطة بالتراث، مثل: حكاية (اليمامة والصيَّاد) التي عبَّرت عن الحكمة القائلة: "مقتل الرجل بين فكَّيْه"، وحكاية (الصياد والعُصْفُورة) وحكاية (طائر القُبَّرَة) التي تعكس كُلٌّ منهما الحكمة القائلة: "في التأنِّي السلامة وفي العجلة الندامة".

وقد ارتبط شعر (أحمد شوقي) بقيَم تربوية وأخلاقية واجتماعية مهمة، تمثلت فيما يلى:

- قيمة التعاون، والتي جاءت في قصيدة (أُمَّة الأرانب والفيل)، حيث عبر عن هذه القيمة على لسان الأرنب الحكيم بقوله: اتحدوا ضد العدو الجافي فالاتحاد قوة الضعاف.
- قيمة الأمانة، والتي وردت في قصيدة (سليمان والحمامة) التي فقدت كل شيء بسبب عدم أمانتها، واطِّلاعها على مضمون الرسالة التي كُلفت بتوصيلها.
- قيمة الصدق ونبذ الكَذِب والاحتيال، التي عبرت عنها قصيدة (الثعلب والديك) والتي انتهت بالحكمة التي تحولت إلى قولٍ مأثورٍ "مخطئٌ من ظنَّ يومًا أن للثعلب دينا"، وهو قول ينطبق على كل من هو على شاكلة الثعلب في كل زمان ومكان.
- قيمة المُواطَنة، والتي وردت في قصيدة (الوطن)، والتى عبَّر فيها عن قيمة الوطن الذي لا يضاهيه أي مكان آخر بقوله: هَبْ جنة الخُلْد اليمن لا شيء يعدل الوطن.
- قيمة حُسن التدبير والفطنة، والتي عبر عنها في قصيدة (الأسد والثعلب والعِجْل)؛ حيث مكر الثعلب بالعجل، وقدمه فريسة للأسد، على الرغم من صِغَر حجم الثعلب، وكِبَر حجم العجل، وعبَّر عن هذه القيمة بقوله: سلَّم الثعلب بالرأس الصغير ففداه كُلُّ ذي رأسٍ كبير.
- قيمة النظافة، والتي وردت في قصيدة (الهِرَّة والنظافة)، وعبر عنها في خاتمة القصيدة بقوله: إنما الثوب على الإنسان عنوان الصحيفة.

- قيمة الرفق بالحيوان، والتي وردت في قصيدة (ضيافة قِطَّة).
- قيمة العمل، والتي عبر عنها في قصيدة (النملة الزاهدة) وقصيدة (السلوقي والجَوَاد).
- قيمة التواضع وعدم الغرور، كما وردت في قصيدة الطاووس.

وغيرها من القيم التي تم تقديمها في إطار رمزي على ألسنة الحيوانات والطيور؛ لتوضيح الحِكَم والعظات والدروس المستفادة، بطريقة تميزت ببساطة العرض والإيقاع، وسهولة اللغة، وبأسلوب شائق، ومُحبب إلى نفوس الأطفال للوصول إلى الأهداف المنشودة.

كما يُعدُّ (محمد عثمان جلال) من الأدباء العرب الأوائل الذين كتبوا الشعر للأطفال في كتابه المُعنوَن باسم (العيون اليواقظ في الأمثال والمواعظ)، وقد اعتمد أيضًا على الحيوانات والطيور في توصيل أفكاره، التي تعتمد على الخروج في النهاية بحكمة أو موعظة يستفيد منها الطفل في مستقبل أيامه، مثل: حكاية (الحمامة والصقر) والتي تؤكِّد على الإنسان دائمًا ما يتعرض لبعض المخاطر؛ وقد صاغها في صورة حكمة وردت في آخر بيت بقوله: فالمرء في أيامه لا يسلَم.

ونجد أيضًا (كامل الكيلاني) الكاتب المعروف، الذي تخصَّص في أدب الأطفال، وألَّف ديوانًا للأطفال ضم العديد من الأغاني والقصائد، مثل: قصيدة (الطفل والمرأة) التي تركز على إعطاء نصائح تربوية للأم تجاه تعليم أطفالها القراءة، وأغنية (المهد)، والتي تعتمد على تقديم نصيحة للطفل بعدم الأخذ بظواهر الأمور، والتَّروِي عند إصدار الأحكام، وقصيدة (الضاحية) التي تعبر عن جمال النيل والطبيعة.

وهناك أيضًا الشاعر (الهَرَّاوي) الذي صدر له العديد من الدووين الشعرية، والأغاني والأناشيد الموجهة للأطفال التي تضمنت قيمًا أخلاقية وتربوية، مثل: ديوان (سمير الأطفال للبنين) وديوان (سمير الأطفال للبنات)، الذي ضمَّنهما مقطوعاتٍ شعرية خصَّصها للحديث عن طبيعة بعض المِهَن والحِرَف، مثل: الفِلَاحة والمحاماة والطب.. وغير ذلك؛ لإعلاء قيمة العمل في نفوس الأطفال، وديوان (أَلِف باء) وديوان (أنباء الرُّسل)، وله أيضًا كتابات نثرية، مثل: رواية (الذئب والغنم). وقد كرَّس (الهراوي) معظم أعماله الشعرية لترسيخ القيَم والآداب والسلوكيات في نفوس الأطفال، كالطاعة والنظام والأمانة والوفاء والعلم والعمل، والانتماء للوطن. وقد حرص (الهراوي) على استخدام اللغة الفُصحَى المُيسَّرة، وتميزت أشعاره بقلَّة الأبيات، وقلة الكلمات على مستوى طول البيت الواحد؛ ليسهُل على الطفل استيعابها، وحفظها، وترديدها.

وهؤلاء الشعراء الذين يمثلون الرعيل الأول الذين حملوا على عاتقهم مهمة كتابة الشعر

للأطفال، ينبغي إلقاء الضوء على أعمالهم الشعرية، وتضمين بعضها في الكتب الدراسية المقررة على أطفال الروضة، وعلى التلاميذ في الصفوف الدراسية الأولى بمرحلة التعليم الأساسى؛ للاستفادة منها لتنمية التذوق الأدبي لدى الأطفال.

الأهمية التربوية للشعر الموجه للأطفال:

تتمثل تلك الأهمية فيما يلي:

- تحقيق المتعة وإثارة البهجة في نفوس الأطفال.
- تنمية الحصيلة اللغوية لدى الأطفال.
- إثراء خيال الطفل.
- تنمية التذوق والحس الأدبي والجمالي لدى الأطفال.
- تثقيف الأطفال وتهذيب نفوسهم وإكسابهم القيَم الأخلاقية.
- تزويدهم بالمعلومات والحقائق والمفاهيم التي تنمي خبراتهم.
- تكوين عادة القراءة الأدبية منذ الصِّغَر لدى الأطفال.
- تنمية مهارات الاستماع والتحدُّث والإلقاء.

خصائص الصياغة اللغوية للشعر الموجه للأطفال:

لكي يحقق الشعر المُوجَّه للأطفال – سواء أكان شعرًا تعليميًا أم شعرًا قَصَصيًا أم شعرًا غنائيًا، أم شعرًا دراميًا أو مسرحيًا – الأهداف المنشودة من إكسابِ الطفلِ القيمَ الأخلاقية والمُثُل العليا، والسلوكَ المرغوب فيه، وترقية أذواقهم الفنية والجمالية، والتأثير في وجدانهم؛ لا بد من مراعاة بعض الخصائص التي تعتمد على ما يلي:

- اقتراب الصياغة الشعرية من عالم الطفل اللغوي، ومراعاة الوضوح، وعدم التعقيد وتَمشِّيها مع النمو العقلي والنفسي واللغوي للطفل، فالأطفال في الصفوف الأولى من تعليمهم يتناسب معهم الأشعار، والأناشيد التي ترتبط بالأسرة والمدرسة والبيئة المحيطة بهم، وما أَلِفوه من حيوانات وطيور، ثم يلي ذلك إعطاء الطفل أشعارًا وأناشيد تبث فيهم الشعور الديني والأخلاقي، والشعور بالوطنية والقومية والبطولة والفداء والمُثل العليا.
- الاعتماد على الخيال والمرح والفكاهة والطّرفة، وعلى البحور القصيرة التي تفيض بالحياة والحركة، واستخدام الفصحى السهلة.

- انتقاء المفردات السهلة والجمل البسيطة، والتركيز على الجَرْس الموسيقي، والتكرار، وسيادة روح الطفولة.
- أن يحمل مضمونه أفكارًا وقيمًا تمد الأطفال بالتجارب والخبرات الحياتية ذات مغزى تربوي هادف.
- أن ترتبط الموضوعات المطروقة ببيئة الطفل وحَواسِّه، وأن تعبر عن روح العصر الذي يعيش فيه.
- مراعاة توافر الصياغة الشعرية المُغنَّاة ذات الإيقاع البسيط والسلس، والعبارات المسجوعة والجمل المُنغَّمة؛ حتى تبقى في ذاكرة الطفل ووجدانه لفترة طويلة.
- أن يتناسب مع المرحلة العمرية التي يمر بها الطفل.

وفي ضوء ما سبق ذكره ينبغي التأكيد على أهمية تبني فلسفة تربوية لإعداد الطفل، قائمة على التكامل بين الجوانب المعرفية والوجدانية والمهارية، فمخاطبة وجدان الطفل وفكره من خلال نماذج شعرية وأناشيد هادفة تحمل في طيَّاتها قيمًا ومبادئ دينية وأخلاقية وتربوية تتفق مع طبيعة وثقافة مجتمعاتنا العربية، سوف يُسهم في بناء شخصية الطفل لمواجهة تحديات المستقبل بخُطَى ثابتة، مُسلَّحًا بالمُثل والقيَم النبيلة المستلهمة من التراث الحضاري الأدبي.

المراجع

- أحمد شوقي (2002): المختار من ديوان شوقي للأطفال، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة.
- فاطمة مبروك مسعود (2016): الموازنة في الشعر العربي الموجه للأطفال بين الجوانب الوجدانية والمعرفية، دراسات في التعليم الجامعي، جامعة عين شمس، كلية التربية، مركز تطوير التعليم الجامعي، ع 32، يناير.
- محمد إبراهيم الطاووس (2003): تقنيات التشكيل الفني والجمالي في شعر الهواري للأطفال، حوليات آداب عين شمس، كلية الآداب، مج 31، ديسمبر.
- مصطفى رجب (1999): شعر الأطفال بين الفن والتربية، مجلة التربية، اللجنة الوطنية القطرية للتربية والثقافة والعلوم، ع 128، مارس.
- هديل مصطفى الخولي (2015): المضامين التربوية لشعر شوقي للأطفال، مستقبل التربية العربية، المركز العربي للتعليم والتنمية، مج 22، ع 95، يوليو.